



زيارة وفد المراقبين العرب إلى سوريا مثل الصدقة التي يتبعها أذى، بل إنها أسوأ، لأن الأذى سبقة وتبعها. مشهد سير المراقبين في حمص يعكس - والمفترض أن يعكس - موقف الجامعة العربية من نداءات الاستغاثة التي نسمعها كل يوم على الفضائيات: الكثير من اللامبالاة، والاستكاف عن الإنصات لصيحات الاستغاثة وطلب المعونة.

ليس المهم ما قيل حول ماضي رئيس وفد المراقبين العرب، وأن لديه سجلًا ضد حقوق الإنسان، ذلك لأنه لا يمثل نفسه في هذه الرحلة ذات الرحم الإعلامي، بل يقوم بمهمة كاميرا الرصد، يراقب ويسجل، ولكنه ظهر على شاشات التلفزة وكأنه مأمور سجن، وليس مراقباً لانتهاكات إنسانية مريرة لم يشهد العالم مثيلها منذ الحرب العالمية الثانية.

مر بمخيلتي وأنا أراقب المراقبين مشهد قديم للممثلة الأميركية أنجلينا جولي عندما زارت مخيمات للاجئين في دارفور. رغم الاختلاف في الظروف، فإن المقارنة تجلی البصر، وعسى أن تجلی البصيرة. جولي أبدت تعاطفاً كبيراً مع حقائق مأساوية موجعة في أحوال أبرياء ذهبو ضحية صراعات الساسة، حيث احتضنت ضحايا الحرب والجوع بكثير من التفاعل العاطفي - وحرى بها أن تفعل - مما رأته يدمي القلب، هي لم تسجل موقفاً رسمياً يخص مضمون الصراع السياسي، كانت مهمتها محددة بإبراز مشكلة هؤلاء أمام الرأي العام العالمي. أنجلينا جولي لم ترتد شالاً من الحرير البنفسجي وتضع أقراطاً من اللؤلؤ أو الماس رغم أنها فاحشة الثراء، بل ذهبت برداء أسود، وبلا مساحيق، وأضفت نحافتها الشديدة بالصدفة مزيداً من المصداقية على المشهد، الأميركية تفهمت مآسي الناس وألامهم وتجاوزت معها، فلم يشعروا بأنها غريبة جاءت من النصف الآخر من كوكب الأرض، لأنها تلقتهم بكثير من الحس الإنساني واستمعت لهم بقلبه قبلاً أذنيها.

عملياً لا تختلف مهمتها عن مهمة المراقبين الذين توجهوا لحمص للوقوف على أثر الجرائم التي يعرفون ونعرف ويعرف العالم أنها تحصل كل ساعة من كل يوم منذ تسعه أشهر، وليتبعوا تطبيق النظام السوري للمبادرة العربية من حيث إطلاق المعتقلين ووقف العنف ومظاهر التسلح. المراقبون العرب استكروا على الاستماع للمستهدفين من الزيارة، ظهروا كالإنسان الآلي بلا مشاعر وكأنما يسيرون بالريموت كنترول، حاول المستغيثون حملهم على الإصغاء ولكن بلا جدوى. المراقب يقف بسيجارته يمتنع عن تهدئة الناس الجياع الذين يفتقرن للطعام والماء والوقود والكهرباء.

ربما آثر الوفد عدم إلقاء بأي تصريح حتى يقدموا تقريرهم الأخير للجامعة العربية، وهذا من حقهم، لكن من حق متظاهري الشارع أن يشعروا بقليل من التقدير والاحتواء والتفهم من وفد عربي منظر منذ أكثر من شهر، من حقهم أن يشعروا أن 30 قتيلاً يومياً منذ شهر خسروا حياتهم في انتظار أن يطل عليهم الوفد العربي لم تهدى دمائهم هباء.

ماذا لو خرج وزير الخارجية السوري وليد المعلم غداً ليعلن في أحد مؤتمراته الصحفية أن إطلاق الرصاص الذي سمعه المراقبون أثناء جولتهم الخجولة هي تأكيد على وجود مسلحين يتربصون بالناس من سقوف الأبنية، وأن هذا بالضبط ما كان يرددده النظام السوري طوال هذه الشهور الماضية، ولم يكن العرب يصدقون؟ كيف سيثبت المراقبون خلال دقائق من جولات متواتعة هوية مطلق النار؟ لو كان البروتوكول اشترط على الأقل دخول المراقبين مع وفود إعلامية لربما كان لهذه الجولة قيمة، لأن المراسل الصحفي سيكون أكثر شجاعة في الحصول على المعلومة من مراقب يمشي الخياء.

الأمين العام للجامعة العربية يعرف تماماً أن من يستهدف المتظاهرين هي قوات النظام السوري، وكل من هم حول طاولة الجامعة العربية يعرفون ذلك، الحقيقة لا تحتاج بضعة أشخاص لإثباتها أو نفيها، وهذه الخطوة من الجامعة العربية التي أصرت عليها آملة وقف العنف وإطلاق المعتقلين هي باهظة الثمن حتى لو كانت تمهدأ لأن تنفخ يدها من القضية السورية استعداداً لتدوين الملف.

المصدر: موقع أخبار الثورة السورية

المصادر: